العمل والكسب
في نظر الإسلام

الأستاذ الدكتور

محمد عبد الحافظ إبراهيم

الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

ووكيل كلية أصول الدين بأسيوط

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين والمؤيد بالحجة من رب العالمين .

وبعد

فإن بعض الملحدين يقولون : عن الدين يعلق أتباعه بالدار الآخرة ، ويصرف أفكارهم إلى نواح غيبية مبهمة ، ويبدد قواهم وراء العمل للدار التى يتوهمون أنهم يحشرون فيها أو يعودون إلى ربهم فيها ، وذلك كله على حساب علاقتهم بهذه الأرض وما فيها ومن فيها ؛ فترى المتدينين يضيقون بالحياة ويستوحشون منها ولا يأسون بما يفوتهم من التقدم فيها والاستكثار من خيرها ويظنون انهم يحرزون أنصبتهم من الكمال النفسى ومن التقدم الأخروى على أنقاض هذه الحياة التى يتجهمون لها ويجهلون أساليب العيش بها !!

هذا كلام يقوله الملحدون ــ من أصحاب الفلسفات الشرقية أو الغربية عموماً ــ وهم ينتقدون الدين ونظرته إلى الحياة .

ونحن نقول : إذا قيس ذا التفكير بحقائق الإسلام المقررة وقيمة المعتمدة وتعاليمه التى توطدت واستقرت فى كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) تبين أنه كلام تافه لا وزن له !!

" لكن لا شك أن بعض المتدينين أعان على توجيه هذه التهم للإسلام وان مسلكه فى الدنيا هو الذى جعل ألسنة أعداء الله تطول فى قيمة الدين وأثره "[١]

والمتأمل المنصف يلاحظ أن الإسلام دعا كل مسلم لأن يكون ملئ اليد موفور النعمة يستطيع إخراج الزكاة ليسهم فى كل خير .

دعا إلى ذلك بصراحة ووضوح : إذ حض على العمل ورغب فيه ونهى عن البطالة والكسل وحذر منهما وأجزل ثواب العاملين ورفع شأنهم ، فقال ــ تعالى ــ " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "[٢] .

وفى هذا إغراء بتجويد العمل وإتقانه ، كما أن فيها تعظيماً للعامل والعمل ؛ إذ جعلهما موضع النظر والترقب ، وقال ــ تعالى ــ " فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور "[٣] .

ثم إن الإسلام أمر بالسعى فوراً بعد أداء الصلاة المحتومة ح فقال : " يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون "[٤] .

---

[١] خطب الشيخ الغزالى فى شئون الدين والحياة ٣ / ٥٢ ، ٥٣ ــ بتصرف طفيف دار الاعتصام

[٢] سورة التوبة ، الآية (١٠٥) .

[٣] سورة الملك، الآية (١٥) .

[٤] سورة الجمعة ، الآية (٩ ، ١٠)

وقد حث الإسلام على كل ما يرفع شأن الأمة ويخدم العالم بأسره فدعا المسلمين إلى تعلم كل الأعمال ، ليرتبط العمل بالعلم فتربو الثروة والإنتاج ، وليس الحث على العمل والكسب فى الدنيا منفراً من طلب الآخرة ، لأن المؤمن لا ينفصل عمله الدنيوى عن عمله الأخروى فالدنيا مزرعة للآخرة ثم إن العمل الدنيوى كالعمل الأخروى فكلاهما امتثال لأمر الله ــ عز وجل ــ قال الحق ــ تعالى ــ " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض عن الله لا يحب المفسدين "[١] .

وقد مكن الله المؤمنين فى الأرض ولا يتحقق التمكين فى الأرض إلا بخصائص أدبية ومواهب عقلية وإمكانات مادية تجعل للمؤمن التمكن المطلوب " ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون "[٢] ح إذ لا يضيع عند الله العمل المتقن " إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً "[٣] .

كما أن الإسلام قد وجه الناس إلى تعدد الحرف ووجوه الاكتساب كما سيتضح ذلك فى بحثنا هذا .

ونرجو الله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه وأن يكون هذا العمل سهماً فى وجه الملحدين من أعداء الإسلام ليعلموا أن هذا الدين يعمل للحياة كما يعمل للعقيدة ؛ فيمزج العقيدة بالحياة ولا يقف بها فى معزل وجدانى فى عالم الضمير .

والله ولى التوفيق

---

[١] سورة القصص ، الآية (٧٧) .

[٢] سورة الأعراف ، الآية (١٠) .

[٣] سورة الكهف ، الآية (٣٠)

معنى العمل والكسب لغة واصطلاحاً

معنى العمل فى اللغة :

يُقال عمل عملاً : أى فعل فعلاً عن قصد ، ومهن وصنع ، واعمله جعله عاملاً ، و (اعتمل فلان) : عمل لنفسه ، وتصرف فى العمل ، (وتعمل) فلان لكذا : تكلف العمل ، و (استعماله) جعله عاملاً ، و (العامل) من يعمل فى مهنة أو صنعة و - الذى يتولى أمور الرجل فى ماله وملكه وعمله والذى يأخذ الزكاة من أربابها ، جمعه عمال وعملة[١] .

وأما فى الاصطلاح :

فقد قال الأستاذ / عبد الكريم الخطيب : " العمل هو كل جهد مشروع يبذله الإنسان ويعود عليه أو على غيره بالخير والفائدة والمنفعة ، سواء أكان هذا الجهد جسيماً كالحرف اليدوية أو فكرياً كالتعليم والقضاء ، وعليه فالعمل فى الإسلام شامل كل فعالية مشروعة سواء أكانت اقتصادية أو سياسية "[٢] ، قال تعالى " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "[٣] .

---

[١] المعجم الوسيط ٢ / ٦٢٨ ، وانظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس .

[٢] كتاب السياسة المالية فى الإسلام للأستاذ / عبد الكريم الخطيب ٨٧ (طبعة دار المعرفة) وكتاب المبادئ الاقتصادية فى الإسلام للدكتور / على عبد الرسول ١٥ ــ ١٧ (طبعة دار الفكر ــ بيروت ــ ١٩٨٠م) .

[٣] سورة التوبة ، الآية ١٠٥ .

ويرى الأستاذ / عز الدين الخطيب : أن كلمة (عامل) تشمل من يعمل لنفسه أو لغيره ، أما من يعمل لغيره قط بغية الحصول على أجر مقابل جهده فيسمى فى نظر الشريعة الإسلامية (أجيرا) ، قال (صلى الله عليه وسلم) : " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه "[١] . فكل أجير عامل وليس كل عامل أجيرا .

وأما الكسب : فيقال : كسب لأهله كسبا : طلب الرزق والمعيشة وكسب الشئ جمعه ، وكسب المال : ربحه فهو كاسب ... واكتسب المال : ربحه فهو كاسب ، وتكسب : تطلب الكسب[٢] .

والكسب هو الاستحصال للمال سواء كان ذلك عن طريق الزراعة أو الصناعة أو التجارة وغيرها .

وللكسب فى الإسلام شرطان :

أولهما : لا يلهى عن حق الله (تعالى) من صلاة وخلق كريم ، وقال الله ــ تعالى ــ " يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون "[٣]

فعن جابر بن عبد الله قال : " بينما نحن نصلى مع النبى (صلى الله عليه وسلم) إذ أقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا إليها حتى

---

[١] قال العجلونى فى كشف الخفاء ١٤٣١١ برقم ٤١٥ ك رواه ابن ماجة بإسناد جيد عن ابن عمر ، والطبرانى عن جابر ، والحكيم الترمذى عن أنس والبيهقى عن أبى هريرة بزيادة : وأعلموه أجره وهو فى عمله . أ هـ وانظر سنن ابن ماجة رقم ٢٤٤٣ والسنن الكبرى للبيهقى ١٢٠١٦ .

[٢] انظر المعجم الوجيز ٥٣٤ والمعجم الوسيط ٢ / ٧٨٦ .

[٣] سورة المنافقون ، الآية ٩ .

ما بقي مع النبى (صلى الله عليه وسلم) إلا اثنا عشر رجلاً فـــنزلت هذه الآية " وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً "[١] .

وكان أحدهم بعد ذلك إذا رفع المطرقة (إذا كان حداداً) أو غرز الإبرة (إذا كان خياطاً) فسمع الأذان لم يوقع المطرقة ورمى بها ولم يغـرز الإبرة وقام إلى الصلاة .

ثانيهما : أن يكون الكسب عن طريق مشروع ؛ فيتحرى فى كسبه ألا يقع فى حرام ، ولا يجـوز أكـل الحـرام إلا فـى حالـة الضـرورة (فالضرورات تبيح المحظورات) والضرورة تقدر بقدرها فلا يتوسـع فيها " فمن اضطر غير باغ ولا عاد "[٢] أى غـير بـاغ ــ أى غـير مستحله ــ ولا عاد ــ أى ولا مجاوز للحد " ...[٣]

وللكسب آداب : نتناول آداب مهنة التجارة علـى سـبيل المثال وهى :

١ــ ترك الثناء على السلعة بما ليس فيها فهو كذب وهـو محاسـب عليه وينبغى ترك اليمين والحلف باسـم الله ــ تعـالى ــ لـترويج البضاعة ، فالدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غـير ضرورة لقوله (صلى الله عليه وسلم) " اليمين الكاذبة منفقة للسـلعة

---

[١] صحيح البخارى ٨ / ٦٤٣ التفسـير برقـم ٤٨٩٩ ، ومسـلم ٦ / ١٥٠ ، ١٥١ ، والترمذى ٤ / ٢٠٠ وقال حسن صحيح ، وأحمد فى مسنده ٣ / ٤٧٠ ، وابـن جريـر ٢٨ / ١٠٥٦٠٤ ، وغيرهم .

[٢] سورة البقرة ، الآية (١٧٣) .

[٣] انظر كتاب (المنهاج الإسلامى) .

ممحقة للبركة "[١] ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) ط ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : عتل مستكبر ، ومنان بعطيته ، ومنفق سلعته بيمينه "[٢] .

٢ــ أن يظهر ما فيها من العيب ولا يكتم ؛ فذلك واجب ، فغن أخفاه كان غاشاً . قال (صلى الله عليه وسلم) : لا يحل لأحد يبيع بيعاً إلا أن يبين آفته " ، ولما مر برجل يبيع طعاماً فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بللاً فقال (صلى الله عليه وسلم) : " ما هذا ؟ " ، قال : " أصابته السماء . " ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس . من غشنا فليس منا "[٣] .

ولكن من تلبيس الشيطان على القلوب أن الرزق لا يزيد إلا بالغش وكتم العيب حتى أصبحت سمة من سمات تعاملنا ، ولقد قال العلماء : ما يجمعه التاجر من مفرقات يهلكه الله دفعة واحدة ، فقد حكى أن رجلاً كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه ، فجاء سيل فأغرق البقرة ، فقال بعض ولده : إن تلك المياه اجتمعت فأغرقت البقرة ، أى المياه المتفرقة التى صببتها فى اللبن اجتمعت فأصبحت دفعة واحدة وأغرقت البقرة .

---

[١] البخارى ــ فتح البارى ــ ٤ / ٣١٥ برقم ٢٠٨٧ كتاب البيوع ، وصحيح مسلم ١٠ / ٢٢٢ المساقاة برقم ١٣١ ، ومسند أحمد ٢ / ٢٣٥ ، ٢٤٢ .

[٢] صحيح مسلم ٢ / ٢٨٧ الإيمان برقم (٧) ، وابن ماجة تجارات رقم ٣٠ ، ومسند أحمد ٥ / ١٤٨ و ١٥٨ ، والنسائى فى الزكاة برقم ٦٩ ، وسنن الترمذى ــ تحفة الأحوذى ــ ٤ / ٤٠١ برقم ١٢٢٩ وقال حسن صحيح .

[٣] صحيح مسلم ــ بشرح النووى ــ ٢ / ٢٨٣ كتاب الإيمان ، رقم الحديث ١٠٢ .

٣ــ أن لا يبيع على بيع أخيه .

٤ــ ألا يبغى الربح الفاحش لما فيه من الإضرار والظلم ، ومن الطرق المحرمة للربح الفاحش بعوض :

أ) الاحتكار : وهو أن يخزن السلعة لبيعها بثمن غال ، عندما يبحث عنها الناس لا يجدونها فيدفع المحتاج ما يطلب منه وإن فحش ، للحديث : " من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله ورسوله "[١] .

ب) الربا : وكل قرض جر نفعاً فهو ربا ، وآكل الربا هو الدائن الذى يقرض سواء كان فرداً أو بنكاً ، فيسترده بفائدة تزيد على أصله وهذا حرام . " الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه "[٢] .

أو بغير عوض :

أ) الغصب : "من ظلم من الأرض شيئاً طوقه الله من سبع أرضين "[٣] ومعنى (طوقه) له وجهان : أحدهما : أن معناه أنه يكلف نقل ما ظلم منها فى القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق فى عنقه ، لا أنه طوقه حقيقة .

---

[١] الجامع الصغير ٢ / ١٦٠ ، وقال السيوطى : رواه أحمد والحاكم عن ابى هريرة وهو حديث حسن .

[٢] الجامع الصغير ٢ / ٢٦ ، وقال السيوطى : رواه الحاكم عن ابن مسعود : صحيح وورد الحديث بألفاظ أخرى وهى أحاديث صحيحة .

[٣] صحيح البخارى ٥ / ١٠٣ برقم ٢٤٥٢ و ٢٤٥٣ و ٢٤٥٤ ، ومسلم ٢ / ٣٢٢ الإيمان رقم ٢٢٤ ، ومسند أحمد ١ / ١٨٧ .

الثانى : معناه : انه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين أى فتكون كل أرض فى تلك الحالة طوقاً فى عنقه أ . هـ . وهذا يؤيده حديث ابن عمر بلفظ " خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين "[١] .

وقيل معناه كالأول لكن بعد ينقل جميعه يجعل كله فى عنقه طوقاً ويعظم قدر عنقه حتى يسع ذلك كما ورد فى غلظ جلد الكافر ونحو ذلك "[٢] .

أقول ولا مانع من ورود ذلك على الحقيقة يوم القيامة .

ب) الرشوة : " لعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الراشى والمرتشى والرائش "[٣] ، الراشى : الدافع ، والمرتشى : الآخذ والرائش : الساعى بينهما ، قال تعالى : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالباطل وأنتم تعلمون "[٤] . قال قتادة وعكرمة ومجاهد : " لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم " .

---

[١] صحيح البخارى ٥ / ١٠٣ كتاب المظالم . باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض رقم ٢٤٥٤ .

[٢] فتح البارى ٥ / ١٠٤ .

[٣] فيض القدير للمناوى ٥ / ٢٦٨ والحديث صحيح . ورواه أحمد عن ثوبان .

[٤] سورة البقرة ، الآية ١٨٨ .

أثر الكسب الحرام على الفرد والجماعة

١ ــ لا يستجاب لآكل الحرام ، لما جاء أن النبى (صلى الله عليه وسلم) ذكر : " الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربة حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب له "[١] .

٢ ــ لا يقبل منه عمل ، لقوله (صلى الله عليه وسلم) : " واعلم أن اللقمة الحرام إذا وقعت فى جوف ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به "[٢] .

٣ ــ لا تقبل منه طاعة ، لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " إذا خرج الحاج حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه من السماء : لبيك وسعديك زادك حلال وراحتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور . وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك ، ناداه مناد من السماء : لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ، ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مبرور"[٣].

---

[١] صحيح مسلم ٧ / ٨٢ كتاب الزكاة رقم ٦٥ ، وسنن الترمذى ــ تحفة الأحوذى ٨ / ٣٣٣ أبواب التفسير رقم ٤٠٧٤ ، ومسند أحمد ٢ / ٢٨٨ ، وسنن ابن ماجة برقم ٤٠ .

[٢] قال المنذرى فى الترغيب والترهيب ٢ / ١٢١ ، ١٢٢ رواه الطبرانى فى الأوسط ورواه الأصبهانى من حديث أسلم مولى عمر بن الخطاب مرسلاً مختصراً وفى مجمع الزوائد ٣ / ٣٠٩ ، ٣١٠ ، الحديث رواه البزار بألفاظ قريبة منه وفيه سليمان بن داود اليمانى وهو ضعيف . والغرز : هو ركاب من جلد .

[٣] انظر كتاب (المنهاج الإسلامى) للأستاذ / هاشم محمد على ٢ / ٣٠٨ ــ ٣١٢ (دار الثقافة ــ الدوحة ١٩٩٦) .

دعوة الإسلام إلى العمل

ذكرت فى المقدمة أن الله ــ عز وجل ــ حث على العمل وأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) دعا إليه . والذى يطالع نصوص الكتاب والسنة يرى فيها المر بالسعى فى طلب الرزق والنهى عن القعود والتكاسل عن الاكتساب من طرق الحلال مما يشعر بأن الإسلام قد فرض على العباد الاكتساب لطلب المعاش ليستعينوا به على طاعة الله .

فإذا كان العمل الدنيوى فريضة فما الداعى إلى التفريق بين افعل وافعل فكما دعا الحق إلى ذكر وهو فريضة دعا إلى العمل فى نفس النص " وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون "[١] .

وفى القرآن والسنة أدلة كثيرة على أن الإسلام حث على العمل واعتبره فريضة ، فأما القرآن فقد اهتم بالعمل اهتماماً شديداً فقد تكررت مشتقات لفظة العمل أكثر من ثلاثمائة مرة منها قوله تعالى :

١ ــ " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "[٢] .

وهو محض على العمل بكل أنواعه الذى يعين فيه على الحياة ويعين على طاعة الله والعمل الأخروى المحض كالصلاة والذكر ؛ فالكل مندرج تحت قوله تعالى " اعملوا " و " سيرى الله عملكم " .

---

[١] سورة الجمعة ، الآية (١٠)

[٢] سورة التوبة ، الآية (١٠٥)

٢ ــ يقول الحق ــ عز وجل ــ " الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون "[١] .

ويقول : " ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون "[٢] ، ففى الآيات ما يشير إلى أن الله ــ عز وجل ــ سخر للإنسان ما ينفعه فى الكون ومكنه وملكه وهيأ له شتى العناصر ليكون سعيه ممكناً .

٣ ــ بعد أن سخر الحق الأرض للإنسان طالبه بالسعى الدائم ، فقال " هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور "[٣] دعوة إلى الجميع لا إلى طبقة بعينها ، وقال : " هو الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم عن فى ذلك لآيات لأولى النهى "[٤] .

وفى ذلك حث على العمل الذى يعطى النتاج العمل فى الأرض والعمل فى مهنة الرعى كأمثلة للسعى ليس حصراً له .

---

[١] سورة الجاثية ، الآية (١٢ ، ١٣)

[٢] سورة الأعراف ، الآية (١٠)

[٣] سورة الملك ، الآية (١٥)

[٤] سورة طه ، الآية (٥٣ ، ٥٤)

٤ ــ كما عين الحق للعبادة أوقاتاً أرشدنا إليها حسب علمه وحكمته عين سبيل التخيير وقت العمل فمن بتسخير ما فى الكون على العباد بما يساعد على العمل فقال : " وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً "[١] ، وقال : " ومن رحمته أن جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون "[٢] .

٥ ــ بين الحق ــ عز وجل ــ أن السعى فى طلب الرزق مقدم على المكث فى المسجد بعد أداء الفريضة ، فقال : " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون "[٣] . ففى الآية بيان لشأن المؤمن مع الدين والحياة حتى فى هذا اليوم العظيم يوم الجمعة يحث الحق على البيع والعمل للدنيا قبل الصلاة ، ثم السعى إلى ذكر الله وإلى الصلاة وترك البيع والشراء وما أشبهه من مشاغل الحياة ، ثم انتشار فى الأرض وابتغاء الرزق من جديد بع انقضاء الصلاة مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيراً فى كل حال لأن ذكر الله هو أساس النجاح والفلاح . وبين الإسلام أن العمل مقدم على قيام الليل ، فقد تبدل الحكم فى أمر الصلاة وقيام الليل لتبدل الحالة والزمن وتكاثر المسلمين فى غضون العشر سنين التى قضاها المسلمون السابقون يحيون معظم ساعات الليل فى الصلاة وقراءة القرآن وصنوف العبادات . قال ــ عز وجل : " إن ربك يعلم أنك تقوم

---

[١] سورة النبأ ، الآية (٩ ، ١٠)

[٢] سورة القصص ، الآية (٧٣)

[٣] سورة الجمعة ، الآية (١٠)

أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله فاقرءوا ما تسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم "[١].

فقد صنف الوحى فى هذه الآيات المسلمين إلى أصنافهم التى حدثت فيهم وكانت سبباً لتغير حكم الصلاة مبيناً الحكمة فى ذلك فقال : " علم أن سيكون منكم مرضى " هذا هو الصنف الأول يتعذر عليهم قيام معظم ساعات الليل ط وآخرون يضربون فى الأرض " هذا هو الصنف الثانى ، وهم التجار والمسافرون فى البلاد يطلبون الرزق وكسب المال مما هو فضل من الله ونعمة ح فإن هؤلاء تحول أسفارهم والمشاق التى تلحقهم فى خلالها نهاراً دون القيام الطويل بل فى صلاة الليل وقيامه ..

" وآخرون يقاتلون فى سبيل الله " وهذا هو الصنف الثالث ، وهم الذين يعملون على نشر دين الإسلام والدعوة إليه ومحاربة من يتصدى لمنعهم ومقاومتهم . هؤلاء أيضاً يتعذر عليهم إحياء الليل تهجداً وقياماً وقد قتلوا النهار حرباً وصداماً ..

---

[١] سورة المزمل ، الآية (٢٠)

ولما كان الجهاد الاقتصادى والعسكرى لابد منهما لحراسة الأمة وأدائها لرسالتها وتحسين معيشتها ، جعل الحق ـ عز وجل ـ العاملين الذين يبتغون الكسب فى مقابلة المجاهدين الذين ينشرون الدعوة تنويه بالعمل وعلو شأنه فى نظر الشارع ، لأنه من أقوى العوامل فى إعزاز الأمم وثبات أمرها وانتشار تعاليمها .

وربما كان معظم السبب فى انتشار الإسلام فى أطراف المعمورة ، ولاسيما فى أفريقيا وشرق آسيا ، راجعاً إلى رواد الكسب ورواد مناهل الربح ؛ فقد كان التجار يحملون متاجرهم إلى بلاد الوثنية ويخالطون أهلها فيعرضون عليهم بضائعهم مقرونة أحياناً بعرض دينهم وتقاليدهم .

والتجار اليوم عند دول الاستعمار آلة من آلات الفتح والتغلب يرسلونهم إلى البلاد النائية ويجعلونهم طلائع للدعاة والمبشرين ثم يتلو هؤلاء دعاة الفتح وبغاة التسلط والاستعمار .

هذه الأصناف الثلاثة وربما كان يوجد أصناف غيرهم لكن الوحى اقتصر على ذكر ما كان أكثر وجوداً من سائر الأصناف فاقتضت حكمة الله ـ تعالى ـ التيسير والتخفيف "[1] .

ويكفى أصحاب هذه الأعذار أن تأتى بالصلاة على وجهها الشرعى من الخشوع واستحضار القلب ومراعاة الآداب والسنن ، قال تعالى : " وأقيموا الصلاة " وأن يؤدوا الزكاة كما شرعها الله (عز

---

[1] انظر تفسير جزء تبارك للشيخ / عبد القادر المغربى ١٨٨ ، ١٨٩ (المطبعة الأميرية ، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م) .

وجل) وأن يفعلوا الخير من إنفاق وحض عليه وبذل فى وجوه الخير مع حسن النية .

٦ ــ ويقول الله ــ تعالى ــ : " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها "[١] .

قال العلامة الجصاص : " أى أمركم من عمارتها بما تحتاجون إليه وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية[٢] فالدين لم يجعل عمارة الأرض من النوافل أو المندوبات بل جعلها من الشعائر الواجبة التى يثاب فاعلها ويعاقب تاركها " .

٧ ــ ويقول جل وعز : " وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة "[٣] .

ومنطق هذه الخلافة يتحقق فى أمور ثلاثة :

أولاً : أن يحسن الإنسان علاقته بمن خلقه ويوطد صلته بمن استخلفه هذا منطق طبيعى وقانون أخلاقى " آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه "[٤] .

ثانياً : أن يحسن الإنسان معاملة إخوانه وشركائه فى هذه الخلافة فلا يتعدى عليهم ولا يؤذيهم باليد أو اللسان ، قال رسول الله (صلى الله

---

[١] سورة هود ، الآية (٦١) .

[٢] أحكام القرآن للجصاص ٣ / ١٦٥ (دار الفكر) .

[٣] سورة البقرة ، الآية (٣٠) .

[٤] سورة الحديد ، الآية (٧) .

عليه وسلم) " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "[١] ، وقال (صلى الله عليه وسلم) " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "[٢] .

ثالثا : أن يحسن الإنسان القيام على ما استخلف فيه وذلك بأن يعمل ويكد على ظهر الأرض وفى جوفها ليستخرج منها رزقه ويساهم بعمله فى بناء مجتمعه ، قال الله (تعالى) " ثم جعلناكم فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون " ... [٣] [٤]

٨ ــ ومن الأدلة على ترغيب الإسلام فى العمل خطاب الله السيدة مريم حينما جاءها المخاض وهى جالسة تحت النخلة بقوله ــ جل وعز ــ : " وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا "[٥] ، فأمرها الله وهى فى حالة الإعياء من المخاض أن تعمل وته النخلة ؛ ليسقط البلح الرطب فتأكل وتغذى نفسها وهذا ليس بأمر سهل ، وكان فى قدرة الله ــ عز وجل ــ أن يرسل إليها الطعام من غير أن تقوم بأى مجهود ، فهو القادر على كل شئ ولكنه أمرها بالعمل لتعيش .

---

[١] صحيح البخارى ــ فتح البارى ــ ٥٣/١ ككتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون ــ رقم ١٠ . وصحيح مسلم ــ بشرح النووى ــ ٢٠٩/٢ كتاب الإيمان رقم ٦٤ . وسنن الترمذى ت تحفة الأحوزى ــ ٣٧٩/٧ أبواب الإيمان رقم ٢٧٦٢ . ومسند احمد . والنسائى فى الإيمان .

[٢] صحيح البخارى ــ فتح البارى ــ ٥٦/١ كتاب الإيمان رقم ١٣ باب من الإيمان ان تحب ... وصحيح مسلم ٢١٤/٢ كتاب الإيمان ، رقم الحديث ٧١ .

[٣] سورة يونس ، الآية (١٤) .

[٤] العمل فى الإسلام للدكتور / عيسى عبده ، ٤٠ .

[٥] سورة مريم ، الآية (٢٥) .

وأما فى السنة :

فقد رغب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى العمل والكسب عن طريق الحلال فى أحاديث كثيرة مفادها أن دين محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ دين العمل والكسب لا دين البطالة والتواكل .

١ ــ قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود ــ عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده "[١] .

ويستدل بهذا الحديث على : أن ما يباشره الإنسان بنفسه من العمل ويأكل منه خير من مباشرة غيره له ، والسر فى تخصيص داود عليه السلام ــ بالذكر أنه لم يكن محتاجاً فهو ملك وهو خليفة الله تعالى ــ فى أرضه ، إنما اختار الأفضل ، ولهذا أورده النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى مقام الاحتجاج على أن خير الكسب ما كان من عمل اليد ، وأن التكسب لا يقدح فى التوكل "[٢] .

٢ ــ سئل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أى الكسب أطيب ؟ قال : " عمل الرجل بيده ، وكل كسب مبرور "[٣] .

---

[١] أخرجه البخارى فى البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده ٣/٧٤ .

[٢] انظر فتح البارى ٩/١٥٤ .

[٣] أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/١٠ ، وصححه ووافقه الذهبى وأخرجه الطبرانى فى الكبير ٤/٣٢٩ رقم ٤٤١١ ، وفى الأوسط ١/١٣٥/١ ، وأخرجه البزار عنه بلفظه ٢/٨٣ رقم ١٢٥٧ فى كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمى . وفى مجمع الزوائد ٤/٦٠ وقال رواه أحمد والبزار والطبرانى وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

٣ ــ وقد عد الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ الكسب من أجل النفس أو الغير من وجوه الجهاد فى سبيل الله .

فعن كعب بن عجرة ــ رضى الله عنه ــ قال : مر على النبى صلى الله عليه وسلم ــ رجل فرأى أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من جلده ــ قوته وشدته ــ ونشاطه ، فقالوا : " يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ؟ " فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان "[١] .

٤ ــ عن أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ــ قال : كنا مع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سفر فمنا الصائم ومنا المفطر قال ك فنزلنا منزلاً فى يوم حار أكثرنا ظلاً صاحب الكساء ومنا من يتقى الشمس بيده ، قال : فسط الصوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " ذهب المفطرون اليوم بالأجر "[٢] .

---

[١] رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٢٩/١٩ رقم ٢٨٢ ، ورواه المصنف فى الصغير ٦٠/٢ ، وفى الأوسط ٢٥٢ ، وفى مجمع الزوائد ٣٢٥/٤ ورجاله رجال الصحيح وبهذا قال المنذرى فى الترغيب والترهيب ١٣٢/٤ ...

[٢] صحيح مسلم ــ بشرح النووى ــ ١٨٥/٧ رقم ١٠٠ كتاب الصوم واللفظ له ، وصحيح البخارى ــ بشرح فتح البارى ــ ٢٨٩٠/٦ كتاب الجهاد ، ومسند أحمد ٧١/٣ ، ٩٢ ، وسنن النسائى فى كتاب الصوم برقم ٥٢ .

وفى رواية البخارى : وأما الذين صاموا فلم يعملوا وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب ــ أى أثاروا الإبل لخدمتها وسقيها وعلفها ــ وامتهنوا وعالجوا ... "[١] .

٥ ــ وذكر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ رجل كثير العبادة ، فقال : " من يقوم به ؟ " ، قالوا : " أخوه " . ، قال : " أخوه أعبد منه " . فاعتبر الحبيب ــ صلى الله عليه وسلم ــ العمل عبادة ، وفضلها على العبادة المجردة من عمل الدنيا .

من النصوص التى سقناها وغيرها مما هو منثور فى الأصلين الشريفة بأن لنا أن ديننا الحنيف رفع شأن العمل الدنيوى ما دام مقروناً بالإخلاص ومقصوداً به وجه الله ــ وأنه فى درجة العبادة .

٦ ــ وقد بلغ من تعظيم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ للعامل والإشارة على علو مكانته أن قبل يد عامل ظهر فيها آثار العمل ، وقال : " هذه يد يحبها الله ورسوله "[٢] .

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " من كالاً من عمل يده بات مغفوراً له " .

٧ ــ قيل : " يا رسول الله أى الكسب أطيب ؟ " ، قال : " عمل الرجل بيده ، وكل عمل مبرور "[٣] .

---

[١] فى صحيح البخارى ــ المصدر السابق .

[٢] قال العراقى فى الإحياء ٦١/٢ : رواه البزار والحاكم ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد

[٣] مسند أحمد ٣٣٤/٢ و٣٥٧ . وفى المسند المحقق ٣٢٢/١٣ برقم ١٧١٩٨ (إسناده صحيح) .

٨ ــ وعنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : " خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح "[١] . أى نصح فى عمله بأن عمل عمل إتقان وإحسان متجنباً للغش وافياً بحق الصنعة غير ملتفت إلى مقدار الأجر وبذلك يحصل الخير والبركة وبنقيضه الشر والوبال وفيه أن عمل اليد بالاحتراف أفضل من التجارة والزراعة وهذا ما عليه النووى "[٢] .

وقد فهم المسلمون الأولون قداسة العامل ، فقد روى أن إبراهيم بن أدهم اجتمع فى مكة بشقيق البلخى الزاهد المشهور ، فقال له إبراهيم : " ما بدو أمرك الذى بلغك هذا ؟ " ، قال شقيق سرت فى بعض الفلوات يوماً فرأيت طائراً مكسور الجناحين فى فلاة من الأرض فقلت : انظر من أين يرزق فجلست حذاءه فإذا أنا بطائر قد أقبل وفى منقاره جرادة فوضعها فى منقار الطير المكسور الجناحين ، فقلت فى نفسى : يا نفس عن الذى قيض هذا الطائر الصحيح لهذا الطائر المكسور الجناحين فى فلاة من الأرض هو قادر على أن يرزقنى حيثما كنت فتركت الكسب واشتغلت بالعبادة ، فقال إبراهيم : يا شقيق ولم لا تكون أنت الصحيح الذى أطعم العليل حتى تكون أفضل منه ، أما

---

[١] فيض القدير ٤٧٦/٣ برقم ٤٠٢٧ وقال المناوى : رواه أحمد ومحمد عارف رمضان والديلمى والبيهقى وابن خزيمة كلهم عن أبى هريرة . قال الحافظ العراقى : إسناده حسن . وقال تلميذه الهيثمى : رجاله ثقات .

[٢] انظر المصدر السابق .

سمعت عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : " اليد المعطيــة خير من اليد السفلى "[١] .

وكان زيد بن مسلمة يغرس فى أرضه ، فقال له عمر ــ رضى الله عنه ــ : أصبت ، استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لــك عليهم كما قال صاحبكم أحيحة .

فلن أزال على الزوراء أغمرهــا إن الكريم على الإخوان ذو مال[٢]

وكان الشيخ الشعرانى يفضل الصناع على العباد[٣] ، لأن نفع العبــادة مقصور على صاحبها أما الحرف فنفهما لعامة الخلق ، وكان يقــول : ما أجمل أن يجعل الخياط إبرته مسبحته ، وأن يجعل النجار المنشــار مسبحته[٤] .

---

[١] أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩٧/٣ ، وقال : رواه أحمد والبزار والطبرانى فــى الكبير والأوسط ، ثم قال : رجال أحمد ثقات .

انظر : وحى المنبر لأحمد نصيب المحاميد ١٣٢ و ١٣٣ . ط٢ ــ دار الفكر ــ بــيروت ــ ١٤١٨هــ ، ١٩٩٧م) والحديث :

[٢] إحياء علوم الدين ٦٢/٢ . والزوراء : البعيدة ، يقال : فــلاة زوراء وأرض زوراء وبئر زوراء : بعيدة القعر ، وكلمة زوراء : معوجة عن الحق ، ومنارة زوراء : مائلة .

[٣] يقارن بين الصناع العباد وبين العباد الذين لا يمتهنون مهنة .

[٤] الخطب المختارة ١٤١ (١٤٠٩هــ / ١٩٨٩م) مطــابع روز اليوســف ــ وزارة الأوقاف .

العمل والتوكل على الله

والذى يجب أن نعمله لا ينافى التوكل ، لأن الله ــ عز وجل ــ أمرنا بالعمل وأمرنا بالتوكل ، وهذا ما يدعونا إلى الجمع بين النصوص فنجمع بين العمل والتوكل على الله ــ عز وجل ــ وتقرن بين التوكل على الله والسعى على الرزق .

وقد ربانا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ذلك ؛ حيث كان أول المتوكلين ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يهمل الأسباب أبداً حتى حين جاءه رجل ومعه ناقة ، فقال : " يا رسول الله أعقلها وأتوكل ؟ أو أطلقها وأتوكل ؟ " ، وقال ــ صلى الله عليه وسلم : " اعقلها وتوكل "[1] ، فأمره باتخاذ السبب المؤدى إلى الحفظ ، ثم ترك الأمر لله ــ عز وجل ــ أما ترك الأسباب فى العمل فهو تواكل لا يرتضيه الإسلام .

رأى مخالف لما عليه فقهاء الأمة وعلماؤها سلفاً وخلفاً والرد عليه

" قال قوم إن الكسب حرام لا يحل غلا عند الضرورة بمنزلة تناول الميتة وقالوا إن الكسب ينفى التوكل على الله أو ينقض منه وقد

---

[1] سنن الترمذى ٤/٧٦ ، ٧٧ أبواب صفة القيامة .

أمرنا بالتوكل . قال الله ــ تعالى ــ : " فتوكلوا على الله إن كنتم مؤمنين "[١] فما يتضمن نفى ما أمرنا به من التوكل يكون حراماً والدليل على أنه ينفى التوكل قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً "[٢] . وقال الله ــ تعالى ــ : " وفى السماء رزقكم وما توعدون "[٣] . قالوا : وفى ذلك حق على ترك الاشتغال بالكسب وبيانه أن ما قد له من الموعود يأتيه لا محالة ، واستدلوا أيضا بقوله ــ تعالى ــ : " وأمر أهلك بالصلاة "[٤] ، والخطاب وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فالمراد منه أمته فقد أمروا بالصبر والصلاة وترك الاشتغال بالكسب ، واستدلوا ــ أيضاً ــ بقوله ــ تعالى : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "[٥] ، ثم قالوا : وفى الاشتغال بالكسب ترك يأمر المرء لأهله وأمر به من عبادة وإليه أشار ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى قوله : " ما أوحى إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين وإنما أوحى ط فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين "[٦] ، وما فى

---

[١] سورة المائدة ، الآية ٢٣ .

[٢] الجامع الصغير ١٢٩/٢ . قال شارح الجامع إسناد الحديث صحيح ، وسنن الترمذى تحفة الأحوذى ــ ٧ / ٨ رقم ٢٤٤٧ ، وقال سن صحيح ، ومسند أحمد ١ / ٣٠ و ٥٢ والخماص : الجياع . وبطاناً : شباعاً .

[٣] سورة الذاريات ، الآية ٢٢ .

[٤] سورة طه ، الآية ١٣٢ .

[٥] سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .

[٦] سورة الحجر ، الآية ٦٨ .

القرآن من ذكر البيع والشراء فى بعض الآيات ليس المراد التصـــرف فى المال والكسب بل المراد تجارة العبد مع ربه ــ عز وجل ــ ببـــذل النفس فى طاعته والاشتغال بعبادته ح فذلك يسمى تجارة ، قال الله ــ تعالى ــ : " هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عـــذاب أليـــم .... "[١] ، وقال : " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم "[٢] غلى آخر ما عندهـــم من أدلتهم يفهمها من أدرك مبتغاهم .

والرد على هؤلاء من وجوه كثيرة :

أولاً : ما جاء فى حث الإسلام على العمل وأنـــه فـــرض كفايـــة وأن الأنبياء والصالحين مارسوا العمل والكسب وأنه ينجى من الوقوع فـــى المحظور . كل ذلك فيه الدليل على بطلان قول القائلين بحرمة الكســـب والاستغناء عنه بالتوكل .

ثانياً : أن هؤلاء لو جمعوا النصوص فى الموضوع الواحد بحيث ردوا المتشابه إلى المحكم وحملوا المطلق علـــى المقيـــد وفســـروا بالعـــام الخاص . لعرفوا المراد من النصوص . فلو رجعوا إلى مجموع الآيات والأحاديث المتصلة بالكسب والتوكل وردوا بعضها إلى بعض فى ضوء نظرة شاملة لمقاصد الإسلام من المكلفين فى شئون الحيـــاة العاديـــة لعرفوا المقصود من النصوص فى هذا المقام ولخفضوا من علوائـــهم ولم يركبوا متن الشطط ولم يضيقوا على الناس فـــى أمـــر وســـع الله

---

[١] سورة الصف ، الآية ١٠ .

[٢] سورة التوبة ، الآية ١١١ .

عليهم فيه وهؤلاء اقتصروا على عرض نوع واحد من النصوص وهو الذى يدعو إلى التوكل ويحث عليه وأعرضوا عن النصوص المسلوية التى تدعوا وتحث على الكسب والعمل ، فكان من المنطق أن يخرجوا النتيجة الباطلة ؛ لأن الاكتفاء بظاهر بعض النصوص دون النظر فى سائر النصوص المتعلقة بموضوع واحد كثيرا ما يوقع فى الخطأ ويبعد عن جانب الصواب وعن المقصود الذى سيقت له النصوص .

ثم إن النصوص التى حثت على الاكتساب محمولة على الحقيقة التى لا يجوز تركها إلى نوع من المجاز إلا عند قيام الدليل فقوله تعالى ــ : " وأحل الله البيع وحرم الربا " [١] .

فالبيع والشراء حقيقة فى التصرف إلا إذا قام دليل على صرف المعنى عن حقيقته كما ورد فى الآية : " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم "[٢] فإن حقيقة الشراء غير مرادة بل المراد الذين استشهدوا فى سبيل الله وماتوا فى إعلاء كلمته ونشر دينه ، فقد قام الدليل هنا على أن المراد به المجاز ولم يوجد المجاز فى قوله تعالى : " وأحل الله البيع وحرم الربا " ولا فى قوله ــ تعالى ــ : " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله "[١] فالمراد التجارة .

ثالثا : أن الاكتساب ــ كما ذكرت ــ طريق المرسلين ، فقد اكتسب الأنبياء فى بعض الأوقات التى لم يكونوا فيها مشغولين فى البيان

---

[١] سورة البقرة ، الآية ٢٧٥ .

[٢] سورة التوبة ، الآية ١١١ .

[٢] سورة الجمعة ، الآية ١٠ .

للناس ، وفى ذلك دليل على أن الاشتغال لا ينفى التوكل وقد بين ذلك سيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ فى حديثه ؛ حيث مر بقوم من القراء فرآهم جلوسا قد نكسوا رؤوسهم فقال : " من هؤلاء ؟ " ، فقيل : " هم المتوكلون " ، فقال : " كلا ، ولكنكم المتواكلون يأكلون أموال الناس ، ألا أنبئكم من المتوكل ! " فقيل : " نعم . " ، قال ك " هو الذى يلقى الحب فى الأرض ثم يتوكل على ربه ــ عز وجل .

وفى رواية أخرى قال : " يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم واكتسبوا "ودعواهم أن الكبار من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ كانوا لا يكتسبون دعوى باطلة ؛ ذكر ابن قتيبة فى كتابه المعارف فصلا فى صناعات الأشراف ، قال : " كان أبو بكر بزازا ، وكان عثمان بزازا ، وكان طلحة بزازا ، وكان عبد الرحمن بن عوف بزازا وكان سعد بن أبى وقاص يبرى النبل ، وكان الزبير جزارا ، وكان عمرو بن العاص جزارا ، وكان عثمان بن طلحة الذى دفع إليه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مفتاح البيت خياطا .... الخ " وهو فضل طويل ذكر فيه الصحابة وسواهم من أشراف العرب ذوى الصناعات .

وكان سيد الخلق ــ صلى الله عليه وسلم ــ يبيع ويشترى من السوق وقصة شراء النبى الناقة من الأعرابى وشهادة خزيمة بصدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إحدى الدلائل الكثيرة على عمل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتكسبه .

والعجيب :

" أن الذين يحرمون الكسب يتناولون طعام من أطعمهم من كسب يده وربح تجارته مع علمهم بذلك ، فلو كان الاكتساب حراما لكان المال الحاصل به حرام التناول لأن ما يتطرق إليه بارتكاب الحرام يكون حراما ، ألا ترى أن بيع الخمر للمسلم لما كان حراما كان تناول ثمنها حراما ، وحيث لم يمتنع أحد منهم من التناول عرفنا أن قولهم من نتيجة الجهل والكسل "[1] .

" أن الله ــ تعالى ــ أمر بالاتفاق على العيال من الزوجات والأولاد الإنفاق فى سبيل الله وإخراج الحق المعلوم ولا يتمكن العبد من الإنفاق عليهم إلا بتحصيل المال بالكسب وما يتوصل به إلى أداء الواجب يكون واجبا والمعقول يشهد له .

فإن فى الكسب نظام العالم ، والله ــ تعالى ــ حكم ببقاء العالم إلى حين فناء الدنيا وجعل سبب البقاء والنظام كسب العباد " .

حث الإسلام على الاشتغال بالمهن المختلفة

لم يقتصر الإسلام على الحث على العمل بل دعا إلى الاهتمام بالحرف المختلفة التى لا تؤدى إلى الحرام والمحظور وبهذا يرغب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى التعليم الفنى والعملى وقد عد

---

[1] انظر الاكتساب فى الرزق المستطاب للإمام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب الإمام أبى حنيفة ــ تلخيص تلميذه العلامة محمد بن سماعة ٢٣ ــ ٢٧ (دار الكتب العلمية ببيروت) .

العلماء الاشتغال بالصناعات النافعة من فروض الكفايات . يقول الإمام الغزالى مبينا فرضية العلوم المحمودة والصناعات النافعة : " أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب ؛ إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فإنه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها خرج أهل البلد ، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين .

فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات ــ أيضا ــ من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل والحجامة والخياطة فإنه لم خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريض أنفسهم للهلاك فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله "[١] . أ . هـ .

" وفى الفروض الكفائية يتفاوت مقدار الوجوب ، فتبعة الطبيب إذا قصر فى أداء واجبه الطبى أكثر من تبعة غيره ، كذلك المهندس فى مهنته ، والمحاسب فى وظيفته ، والفقيه فى عمله "[٢]

فعنى الإسلام بالزراعة على أنها مادة الغذاء للأحياء وأهم ما تقوم به الأمم فدعا إليها وحث عليها يقول ــ تعالى ــ : " أفرأيتم ما

---

[١] إحياء علوم الدين ــ ١ / ١٦ .

[٢] العمل فى الإسلام ، دكتور / عيسى عبده ــ ٦٤ .

تحرثون "[١] . ولا شك أن الآية تدل على إباحة الزرع من جهة الامتنان به والحديث يدل على فضله . وقال ــ صلى الله عليه وسلم : " من كانت له أرض فليزرعها "[٢] .

وقد ذكر الإمام البارى بابا سماه ك فضل الزرع والغرس إذا أكل منه . وفى ذلك إشارة إلى إباحة الزرع .

وقد جاءت أحاديث كثيرة أوصلت بعضها العمل بالزراعة إلى مرتبة العبادة ، يقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة "[٤] .

وفى رواية مسلم : " ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له منه صدقة وما يرزؤه أحد ــ أى ينقصه ويأخذ منه ــ إلا كان له صدقة "[١] .

وروى جابر أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ دخل على أم معبد حائطا ، فقال : " يا أم معبد : من غرس هذا النخل ؟ أمسلم أم كافر ؟ " فقالت : " بل مسلم . " ، قال : " فلا يغرس المسلم غرسا فيأكل منه إنسان لا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة "[٥]

---

[١] سورة الواقعة ، الآية ٦٣ .

[٢] صحيح البخارى ٥ / ٢٢ كتاب الحرث والمزارعة برقم ٢٣٤٠ ورواه غيره .

[٣] صحيح البخارى ــ بشرح فتح البارى ــ ٥ / ٣ ، كتاب الحرث والمزارعة ــ رقم ٢٤٢٠ ، ومسلم ١٠ / ١٦٣ برقم ٨ .

[٤] صحيح مسلم ١٠ / ١٦٢ ، المساقاة ، ومسند أحمد ــ ٣ / ١٤٧ .

[٥] صحيح مسلم ــ بشرح النووى ــ كتاب المساقاة برقم ١٥٥٢ .

وروى الإمام أحمد عن أبى الدرداء : أن رجلا مر وهو يغـوس غرسا بدمشق ، فقال له : " أتفعل هذا وأنت صـــاحب رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟ ، فقال : " أخى لا تعجـــل علـــى ، ســمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : " من غرس غرســا لــم يأكل منه آدمى ولا خلق من خلق الله إلا كان له به صدقة "[١] .

فالزارع مثاب مأجور عند الله ثواب الصدقة على ما يؤخذ مــن ثمرة غرسه ولو لم يكن له نية منه مثل ما يأكل السبع والطــير ومــا يسرق منه السارق وما يرزؤه به من يرزؤه من غير أن يأذن له فيه

وهى صدقة باقية دائمة غير منقطعة ما دام هناك كـــائن حــى ينتفع بهذا الغرس أو الزرع .

وأى فضل أعظم من هذا الفضل وأى حث على الزراعة اكـــبر من هذا الحث وهذا ما جعل بعض العلماء قديما يقولن : عن الزراعــة هى أفضل المكاسب .

ومن أبلغ وأروع ما جاء فى الحث على الغرس والـــزرع مــا أخرجه الإمام أحمد فى مسنده والبخارى فى الأدب المفرد عن أنـــس : " عن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فغن استطاع أن لا تقـــوم ، أى الساعة) حتى يغرسها فليغرسها "[٢] .

---

[١] جمع الزوائد للهيثمى ٦٧/٤ و ٦٨ ، وقال رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجالــه موثوقون وفيهم كلام لا يضر .

[٢] رواه أحمد فى مسنده عن انـــس ٣ / ١٨٣ و ١٨٤ و ١/ ١٨٥ ، والبخــارى فــى الأدب المفرد ، وصححه الألبانى على شرط مسلم فى الصحيح رقم ١٩ ، وجمع الزوائــد ٤ / ٦٣ ، وقال الهيثمى : رواه البزار ورجاله إثبات ثقات .

فالحديث الشريف يبين لنا أن العمل لا ينقطع إلى قيام الساعة فلو قامت الساعة وأنت تزرع فلا ترم ما بيدك بل تمم الزراعة فإنك فى عمل صالح يحسب لك وفى هذا تكريم للعمل لعمارة الأرض فى حد ذاته وإن لم يكن وراءه منفعة للغارس والناس أو لغيره من بعده فلا أمل لأحد فى الانتفاع بغرس يغرس والساعة تقوم !

وليس بعد هذا تحريض على الغرس والإنتاج ما دام فى الحياة نفس يتردد ، فالإنسان قد خلق ليعبد الله ثم ليعمل وليعمر الأرض فليظل عابدا عاملا حتى تلفظ الدنيا آخر أنفاسها .

وهذا ما فهمه الصحابة والمسلمون فى القرون الأولى ودفعهم إلى عمارة الأرض بالزراعة وإحياء الموات "[١]

ولا يقلل من أهمية مهنة الزراعة ما رواه الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى أمامة الباهلى حين نظر إلى آلة حرث (محراث) فقال : " سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : " لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل "[٢] .

فإن ظاهر هذا الحديث يفيد كراهية الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ للزراعة التى تفضى إلى ذل العاملين فيها ، وقد حاول بعض المستشرقين استغلال هذا الحديث لتشويه موقف الإسلام فى الزراعة فهل هذا الظاهر مراد ؟ وهل يكره الإسلام الزرع والغرس ؟

---

[١] المدخل للقرضاوى ، ١٣٦ .

[٢] صحيح البخارى ــ بشرح فتح البارى ــ ٥ / ٤ كتاب الحرث والمزارعة برقم ٢٣٢١ .

هذا ما تعارضه النصوص الصحيحة الصريحة الأخرى ـ كما أسلفنا فقد كان الأنصار أهل زرع وغرس ولم يأمرهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتخلوا عن زراعتهم وغراسهم ، بل بينت السنة وفصل الفقه الإسلامى أحكام المزارعة والمساقاة وإحياء الموات وما يتعلق بها من حقوق وواجبات .

والجمع بين حديث أبى أمامة والأحاديث التى حببت فى الزراعة والغرس وبينت فضل الزرع بأحد أمور :

الأمر الأول : أن يحمل ما ورد فى الذم على عاقبة ذلك ومحله إذا اشتغل به فضيع بسببه ما أمر بحفظه (كان يضيع أمر الجهاد الواجب) قال ابن حزم : " إن الزرع المذموم الذى يدخل الله تعالى على أهله الذل هو ما تشوغل به عن الجهاد "[1] .

الأمر الثانى : أن يحمل على ما إذا لم يضيع إلا أنه جاوز الحد فيه .

والملاحظ أن البخارى أورده تحت باب : ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذى أمر به .

وقال بعض الشراح : هذا لمن يقرب من العدو فإنه إذا اشتغل بالحرث لا يشتغل بالفروسية فيتأسد عليه العدو ، فحقهم أن يشتغلوا بالفروسية وعلى غيرهم إمدادهم بما يحتاجون إليه .

وقيل إن المراد بذلك ما يلزمهم من حقوق الأرض التى تطالبهم بها الولاة . وكان العمل فى الأراضى أول ما افتتحت على أهل الذمة فكان الصحابة يكرهون تعاطى ذلك .

---

[1] المحلى ٨ / ٢١١ كتاب المزارعة والمغارسة .

قال ابن التين : ط هذا من إخباره ـ صلى الله عليه وسلم بالمغيبات ، لأن المشاهد الآن أن أكثر الظلم إنما هو على أهل الحرث "[١] .

قال العلامة القرضاوى : " ومما يلقى شعاعا على المراد من الحديث ما رواه أحمد أبو داود عن ابن عمر مرفوعا " إذا تبايعتم بالعينة[٢] وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم "[٣] .

فهذا الحديث يكشف عن أسباب الذل الذى يسلط على الأمة جزاء وفاقا لتفريطها فى أمر دينها وإهمالها ما يجب عليها رعايته من أمر دنياها فالتبايع بالعينة يدل على أنها تهاونت فيما حرمه الله وشدد فيه وآذن فاعله بحرب من الله ورسوله وهو الربا فتحايلت على أكله بصور من التعامل ظاهرها الحل وباطنها الحرام المؤكد .

---

[١] فتح البارى ، جـ٥ ، ص ٤ ، ٥ ـ بتصرف ـ وانظر المدخل لدراسة النبوية للدكتور / يوسف القرضاوى ١٣٦ ، ١٣٧ (ط ١ ، ١١٤١هـ / ١٩٩١م) .

[٢] العينة : أن يبيع شيئا إلى غيره بثمن مؤجل ، ويسلمه إلى المشترى ثم يشتريه منه قبل قبض الثمن أقل من ذلك القدر بدفعه نقدا ، وهو فى الحقيقة بيع غير مقصود ، إنما المقصود النقود وهو من صور التحايل على أكل الربا .

[٣] رواه أبو داود فى إجارة عون المعبود ٩ / ٣٣٦ ، وأحمد فى مسنده ٢ / ٨٤ ، وأبو نعيم فى الحلية ٥ / ٢٠٩ ، والجامع الصغير وحسنه ١ / ٢٢ ، وقال المناوى فى فيض القدير ١ / ٣١٤ : فيه أبو عبد الرحمن الخراسانى واسمه إسحاق عد فى الميزان من مناكيره خبر أبى داود هذا ورواه عن ابن عمر باللفظ المذكور أحمد والبزار وأبو يعلى ، قال ابن حجر : وسنده ضعيف ، وله عند أحمد إسناد آخرا مثل من هذا أ . هـ وقال اللبانى فى صحيح الجامع الصغير : صحيح رقم ٤٢٣ .

كما أن اتباع أذناب البقر والرضا بالزرع يدل على الإخلاد إلى الزراعة والشئون الخاصة وعلى إهمال الصناعات وبخاصة ما يتصل منها بالنواحى العسكرية ، أما ترك الجهاد فهو ثمرة منطقية لما سبق وبهذه الأسباب مجتمعة يحيق الذل بالأمة ما لم تراجع دينها "[١] .

وقد فهم الشيخ محمد الغزالى : أن سبب ذم الزراعة هنا هو الاقتصار عليها وحدها لأن الاقتصاد الإسلامى لا يجوز ان يقوم على مصدر واحد من مصادر الثروة ، بل لابد أن يعتمد على مصادر شتى ، وان الاكتفاء بالمصدر الواحد غلط ، والحقيقة أن ما يؤكده النبى صلى الله عليه وسلم ــ هو أن الأمة لا يجوز أن تكتفى بالزرع فلابد مع الزراعة ــ من تجارة ومن صناعة !![٢] .

بل ينبغى أن يشتغل بعضهم بالجهاد وبعضهم بالزراعة ففى عمل الزراعة معاونة للمجاهد فى عمل المجاهد دفع عن الزارع . قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضه "[٢] .

---

[١] المدخل ١٣٧ (ومعنى وأخذتم أذناب البقر : كناية عن الاشتغال عن الجهاد بالحرث) ، انظر فيض القدير ١ / ٣١٤ .

[١] خطب الشيخ / محمد الغزالى ٣ / ٥٧ .

[٢] صحيح البخارى كتاب المظالم ٥ / ٩٩ برقم ٢٤٤٦ باب ٥ ، وصحيح مسلم كتاب البر ١٠٧/١٦ برقم ٦٥ ، وسنن الترمذى أبواب البر ٦ / ٥٥ التحفة برقم ١٩٩٣ وقال صحيح ، ومسند أحمد ١٠٤/٤ و ٤٠٥ و ٤٠٩ .

والدليل أن الزراعة عمل محمود ما روى أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ازدرع بالجرف ، وقد كان له فدك وسهم بخيبر فكان قوته فى آخر عمره من ذلك .

وعمر ــ رضى الله عنه ــ كان له أرض بخيبر تدعى ثمع وقد كان لابن مسعود والحسن بن على وأبى هريرة ــ رضى الله عنهم مزارع بالسواد وغيرها[٣] .

ومن أبلغ حث الإسلام على الزرع أنه شجع الحارثين الزارعين فجعل من يحيى أرضا لا تنتج زرعا تكون له[٢] . ومعنى إحيائها جعلها صالحة للزراعة .

وأما فيما يتصل بالصناعة :

فقد عنى الإسلام بالصناعة ؛ إذ بها ترقى البلاد وتزدهر حضارتها ، وقد أرشدنا الإسلام إلى الاشتغال بالصناعة فى توجيهات حكيمة فأشار إلى أن نبى الله داود ــ عليه السلام ــ وكان نبيا ملكا اشتغل فى الصناعة ، يقول الله ــ عز وجل ــ : " ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير "[٣] . قوله (أن اعمل سابغات) أى دروع ، (وقدر) من التقدير أى قدر تقديرا حسنا يجمع بين الخفة والمتانة ، وقوله (فى السرد) أى نسج الدروع

---

[١] الاكتساب فى الرزق المستطاب ٤٠ ، ٤١ .

[٢] وتسمى هذه الأرض الأرض الموات : وهى التى يعذر زرعها لانقطاع الماء عنها أو لغمره لها أو لكون طينتها غير صالحة للإنبات ابتداء وقد اهتم الفقهاء بأحكام الأرض الموات فمن أراد الزيادة فعليه بكتب الفقه .

[٣] سورة سبأ ، الآية ١٠ ، ١١ .

المحكمة بمعنى أن تكون حلقها متوالية غير مختلفة أو كما يقول بعض المفسرين : " اجعل مسامير الـــدروع دقيقـــة بحيـــث تضبـــط غلـــق الدرع وفتحه ، فلا تكون الخروق واسعة فتخـــرج الأزرار أو ضيقـــة فلا تدخل "[١] . وفى قوله " وقدر فى السرد " (إرشاد من الله ــ تعالى لنبيه داود عليه السلام ــ فى تعليمه صنعة الدروع)[٢] .

وقوله ــ تعالى : " وألنا له الحديد " إما على سبيل الحقيقـــة : بأن صار الحديد فى يده كالعجين ويكون ذلك من قبيل المعجزة ، أو أن الله أعطاه قوة فصار الحديد فى يده لينا وتكون القوة معجزة له .

وفى اشتغال داود ــ عليه السلام ــ بصنعة رغم علو منزلتـــه حث المسلمين على مباشرة الصناعة ، واعتبارهم أن الحدادة حرفـــة ليست وضيعة لأن بها يستطيع الإنسان أن يصنع ما يحتاج إليه بيـــده فيصنع سلاحه على عينة ولا يتسوله من الأعداء .

ولا يعتبر داود ــ عليه السلام ــ هو الوحيد من الأنبياء الـــذى اتخذ مهنة وعملا ليأكل طعامه منه ، فقد روى أن آدم ــ عليه الســـلام كان حراثا ، وكان نوح نجارا ، وكان إدريس خياطا ، وكـــان موســـى راعيا ، بل كانت مهنة الرعى لأنبياء كثيرين[٣] . بل إن السنة أشـــارت إلى مهنة جميعهم .

وقد رفع الله شأن الصناعة فسمى سورة فى القرآن بمعدن من خامات الصناعة وهى سورة الحديد ، وقـــد تحدثـــت الســـورة عـــن هذا المعدن من خصائصـــه الكـــبرى إنـــه ذو بـــأس شـــديد وأن الله

---

(١) انظر التفسير الواضح للدكتور / محمد محمود حجازى ٢١ / ٤١ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٥٢٧ .
(٣) فتح البارى ٩ / ١٥٤ (من كلام ابن حجر) .

عز وجل ــ يختبر الأمم على امتداد الزمان بمدى دفاعها عن دينها ونصرتها لربها بهذا الحديد : " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز "[١] .

فالبحديد ندافع عن أوطاننا وعن شرفنا وعرضنا .

وقد نبهنا القرآن إلى معدن آخر له أهميته فى إقامة الصناعات ذات الجدوى للناس وهو معدن النحاس ، وعلمنا عمليا كيف نفيد منه حين امتن على نبيه سليمان بقوله : " وأرسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور "[٢] .

وقليل من عبادى الشكور المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لا إلى النهاية "[١] .

---

[١] سورة الحديد ، الآية (٢٥) .

[٢] سورة سبأ (١٢ ، ١٣) .

[٣] انظر تفسير البيضاوى ٢ / ٢٠٥ والقطر : النحاس ، والمحاريب : قصور ومساكن شريفة ، والتماثيل : صور للملائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم (وحرمة التصوير شرع مجدد) ، والجفان ك صحاف ، كالجواب (كالحياض الكبار) ، وقدورا راسيات : ثابتات على الأثافى ، (اعملوا آل داود شكرا) أى اعبدوه شكرا (محلوظة : يظهر أ ن التماثيل لم تكن محرمة فى شريعة سليمان ومن ثم صنعها . فلما اتخذت أصناما وأوثانا من دون الله حرم الإسلام نحتها) .

وقد اعتبر الإمام القرطبى : هذه الآية أصلا فى اتخاذ الصنائع والأسباب ، فقال : " هذه الآية أصل فى اتخاذ الصنائع والأسباب وهو قول أهل العقول والألباب لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء فالسبب سنة الله فى خلقه فمن طعن فى ذلك فقد طعن فى الكتاب والسنة ونسب من ذكرنا إلى الضعف وعدم المنة .

وقد أخبرنا الله ــ تعالى ــ عن نبيه داود ــ عليه السلام ــ إنه كان يصنع الدروع وأنه ــ أيضا ــ كان يصنع الخوص وكان يأكل من عمل يده وكان آدم حراثا ونوح نجارا ولقمان خياطا وطالوت دباغا وقيل سقاء فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس ويدفع بها عن نفسه الضرر واليأس "[1] .

ثم هدانا الله جل شأنه بعد ذلك إلى أن خلط النحاس بالحديد يؤدى إلى إنتاج مزيج له من الصلابة والمتانة ما يجعل من الصعب العسير النيل منه أو التأثير فيه ، وذلك فى حكايته ــ تعالى ــ عن ذى القرنين وسده العالى " قال ما مكنى فيه ربى خير ، فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما " (أى حاجزا حصينا وهو اكبر من السد) أتونى زبر الحديد (قطعه) حتى إذا ساوى بين الصدفين (جانبى الجبلين) . قال انفخوا (أى قال للقوم انفخوا فى الأكوار والحديد) حتى إذا جعله (جعل المفتوح فيه كالنار بالإحماء) قال آتونى أفرغ عليه قطرا (أى نحاسا مذابا) فما استطاعوا أن يظهروه (أى يعلوه

---

[1] تفسير القرطبى ١١/ ٣٢١ .

لارتفاعه) وما استطاعوا له نقبا (لسخنته وصلابته) قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا "[١] .

وفى هذا دليل على اهتمام القرآن الكريم بالصناعات وتأييدها وعدم إنكارها ح فقد عرض القرآن عبقرية ذى القرنين الهندسية ، فبنى خطا من الاستحكامات العسكرية ذوب فيه الحديد والنحاس والصخور أعلى بناءه ، وقى أسفله ، وساوى بين حافتى الجبلين ، وأنشأ بذلك حاجزا لصد الأعداء . . . .

فكان ينبغى على المسلمين أن يسبقوا العالم بتأملهم وتدبرهم فى الكتاب العزيز !!

هذه لمحة سريعة لبعض المهن التى عدها الإسلام من الأعمال الشريفة . ومما ينبغى أن نتعلمه أن هذا الدين المتين احترم جميع المهن ما دامت توصل إلى الحلال ولم تفرق بين صناعة الفكر المجود على صاحب الصنعة اليدوية ؛ فسوى بين عمل الفلسفة وعمل الزراعة ورفع قيمة العمل أيا كان نوعه ما دام حلالا شريفا بخلاف ما كانت عليه الحضارة الفارسية وحضارة الروم ، والعرب قبل الإسلام .

وقد كن القدوة فى ذلك سيد الخلق ــ صلى الله عليه وسلم ــ فكان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته ، رعى الغنم صغيرا . يقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " ما

---

[١] هذا تفسير لآيات سورة الكهف ٩٥ ــ ٩٨ .

بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم " ، فقال له أصحابه : " وأنت ؟ " ، قال : " نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة "[١] .

وتاجر فى مال السيدة خديجة وهو كبير ، وذلك قبل زواجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها .

وحينما عرضت فى الخندق كدية ـ قطعة صلبة صماء ، فقال أى لأصحابه ـ : " أنا نازل " . ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر . .

فأخذ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المعول فضرب فى الكدية فعاد كثيبا أهيل أو أهيم[٢] أو كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى هذا الدرب سار الرعيل الأول من أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هؤلاء والذين تربوا فى مدرسة النبوة . يقول سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : " ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى " . ثم سار على نهج الصحابة تابعوا الأمة[٣] .

وفى دعوته لطلب الرزق دلالة على عدم التفريق فى الشرف بين المهن ؛ فقد دعا إلى عمل الاحتطاب ـ أى جمع الحطب ـ فقال صلى الله عليه وسلم ـ : " لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير

---

[١] فتح البارى ٤ / ٤٤١ ، رقم ٢٢٦٢ ، الإجارة ، باب رعى الغنم على قراريط ، وسنن ابن ماجة تجارات رقم ٥ .

[٢] صحيح البخارى ـ فتح البارى ـ ٧ / ٣٩٥ ، برقم ٤١٠١ المغازى . ومعنى (كثيبا أهيل) أى صار رملا يسيل ولا يتماسك وانظر العمل فى الإسلام ، للدكتور / عيسى عبده ، ٤٢ ، ٤٣ .

[٣] انظر العمل فى الإسلام ، ٤٢ .

من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه "[١] . وقد عمم النبى ــ صلى الله علي وسلم ــ فى تشريف كل مهنة ، قال ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ : " كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا نظر إلى رجل فأعجبه قال : " هل له حرفة ؟ " ، فإن قالوا : " لا " ، قال : : سقط من عينى " . ، قيل : : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ " ، قال : لأن المؤمن إذا لم يكن ذا حرفة تعيش بدينه "[٢] .

وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وأن نبى الله كان يأكل من عمل يده "[٣] .

فلم يبين النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ نوعية المهنة بل عمم فى ذلك .

وفى الحديث دلالة على أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يشجع العمل اليدوى ويشجع كل عمل مقبول ، فالعمل شرف وى عيب فيه ولا عار .

---

[١] صحيح البخارى ــ بشرح فتح البارى ــ ٩ / ١٥ ، مكتبة الكليات الأزهرية) ، وصحيح مسلم ٧ / ١٠٧ ، رقم ١٠٧ الزكاة ، ومسند احمد ٢ / ٤٥٥ ، وسنن النسائى فى الزكاة رقم ٨٣ .

[٢] انظر كتاب الجامع لأصول الراوى ، وآداب السامع تحقيق د / محمد رأفت سعيد ، ١ /٢٤ (مكتبة الفلاح ــ الكويت ــ ١١٤٠هـ / ١٩٨١م) .

[٣] سبق تخريجه .

حقوق العامل وواجباته فى الإسلام

لما كان العمل فرضا على كل مسلم قادر على العمل نظم الإسلام العلاقة بين العامل وصاحب العمل ، ونعنى بالعامل هنا الأجير الذى يعمل بأجره .

حقوق العامل :

١ ــ حض الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على استيفاء الأجير ؛ فدعا إلى دفع الأجور كاملة فى أوقاتها : " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه "[١] ، وفى هذا الحديث دعوة إلى الإسراع فى إعطاء الأجير الأجر .

والحديث من جوامع كلمه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يفهم منه حث العامل على العمل الجاد الذى يتفصد جبين العامل عرقا .

وحث الناس على استعجال واستيفاء أجر العامل قبل أن يستريح من وعثاء العمل .

وقد بين النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ خطورة من أكل أجر الأجير بغير حق وبغير رضا فى كلام مخيف حكاه عن الله ــ عز وجل ــ قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال الله : " ثلاثة أنا خصمهم يوم

---

[١] قال العجلونى فى كشف الخفاء مزيل الإلباس ١ / ١٤٣ رواه ابن ماجة بإسناد جيد عن ابن عمر وأبو يعلى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ ، والطبرانى عن جابر والحكيم الترمذى عن أنس ، ورواه البيهقى عن أبى هريرة بزيادة واعلموه أجره وهو فى عمله أ . هـ .

القيامة : رجل أعطى بى ثم عذر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره "[١] . ، أى استخدمه بغير أجرة وكأنه استعبده .

وقد جاء فى حديث الثلاثة الذين أصابهم المطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم ، فتقربوا إلى الله بصالح أعمالهم ، وكان منها رد الأجر للأجير ، فاستجاب الله ــ تعالى ــ لهذا السائل ، وذلك يدل على أن السائل سأل الله بأحسن الأعمال ، وذلك يدل على أن الإسلام قد حمى أجر الأجير وحرسه وحث عليه[٢] .

٢ ــ أن لا يكلف العامل فوق طاقته ؛ بأن يكون التكليف مقيدا بكونه فى طاقته وأنه يمكنه الاستمرار عليه ؛ لقوله ــ تعالى ــ : " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها "[٣] .

وقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى شأن العبيد : " لا تكلفوهم ما يغلبهم ــ أى من العمل ــ فإن كلفتموهم فأعينوهم "[٤] فأوجب الرحمة بالعمال .

---

(١) صحيح البخارى ــ بشرح فتح البارى ــ ٤ / ٤١٧ كتاب البيوع رقم ١٠٦ .

(٢) انظر حديث الغار فى صحيح البخارى فتح البارى ٦ / ٥٠٥ ، ٥٠٦ أحاديث الأنبياء رقم ٣٤٦٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .

(٤) صحيح البخارى ــ بفتح البارى ــ ١ / ٨٤ الإيمان رقم ٣٠ و ٥ / ١٧٣ برقم ٢٥٤٥ ، العتق ، ١٠ / ٤٦٥ الأدب برقم ٦٠٥٠ ، وصحيح مسلم ١١ / ٢٨٩ برقم ٣٨ كتاب الإيمان ، وأبو داود فى الأدب برقم ١٣٤ ، وسنن الترمذى فى البر ٦ / ٧٥ برقم ٢٠١٠ ن ومسند أحمد ٥ / ١٨٥ و ١٦١ .

٣ ــ الوفاء بالعقود : فقد أوجب الإسلام الإيفاء بشروط العقود ومنها عقد العمل التى ارتبط به العامل واتفق عليه ، حرصا حقوق العاملين يقول الله ــ تعالى ــ : " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ... "[١] ، والآية تشمل ط العقود التى أوجبها الله على المؤمنين فيما أحل لهم وحرم عليهم وألزمهم فرضها وبنى لهم حدودها وهذا ما رجحه الإمام الطبرى "[٢] .

ويشمل العقود التى بين الناس فى المعاملات وغيرها من الأمور الدنيوية .

ولا مانع من أن تكون الآية عامة تشمل المرين معا إذ لا وجه لتخصص بعضها دون بعض ، يقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم : " المسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حالا أو أحل حراما "[٣] .

٤ ــ إقرار مبدأ التكافل المعيشى وهو ما يسمى بالضمان الاجتماعى لسد حاجات العاملين عند العجز عن العمل بسبب من الأسباب مثل المرض أو إصابة العمل أو الشرعية أو الشيخوخة .

٥ ــ قرر الإسلام مسئولية الدولة فى ضمان كافة التأمينات الاجتماعية بما فى ذلك التأمين الصحى خدمة لجميع العاملين فى الدولية الإسلامية .

---

[١] سورة المائدة ، الآية الأولى .

[٢] تفسير الطبرى ١ / ٣٢ .

[٣] سنن الترمذى ــ تحفة الأحوذى ــ ٤ / ٥٨٤ الأحكام رقم ١٣٦٣ ، وقال : حديث حسن صحيح .

واجبات العامل

أوجب الإسلام على العامل واجبات بعدما ضمن لـــه حقوقـــه ، ومن أهم هذه الواجبات :

١ ــ يتضح من حديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " أعطـــوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه . " ، أن الرسول ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ يطلب من الجير أن يجهد نفسه وان يعمل بكل جهده ليعـــرق وليكون مستحقا للأجر .

٢ ــ الإجادة والإتقان والكمال فى العمل ؛ فقد أوصـــى رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بذلك فقال : " إن الله يحب إذا عمـــل أحدكـــم عملا أن يتقنه "[١] ، فربط الرسول ــ صلى الله عليه وســـلم ــ ذلـــك بأعلى شئ لدى المسلم وأحب أمر لدى المؤمن وهو حب الله ت عـــز وجل ــ ويتضح ذلك من قول الله ــ تعـــالى ــ : " إن الذيـــن آمنـــوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا "[٢] .

والعمل الصالح يشمل العبادات وهـــى القســـط الضئيـــل لأنـــه لا يستغرق من وقت الإنسان إلا القليل . وقسم آخـــر يســـتغرق منـــه طويلا وهو ما يتعلق بالمعيشة فى هذه الدنيا .

---

[١] قال العجلونى فى كشف الخفـــاء ١ / ٢٤٦ برقـــم ٧٤٧ قـــال : رواه أبـــو يعلـــى والعسكرى عن عائشة ترفعه ، ورواه الطبرانى ، ورواه زائدة .. وذكره أبو زرعة وابن سعد وابن حيان ذكروا أن كليبا راوى رواية الطبرانى من ثقات التابعين اهـــ ملخصا .

[٢] سورة الكهف ، الآية ١٠٧ .

فينبغى أن يعمل المسلم الصالحات بان يتقن الدنيا ويسخرها للدين . وقد جعل الله ــ تعالى ــ العمل الصالح فى المرتبة الثانية بعد الإيمان بالله .

عندما وصف العمل بالصلاح فى القرآن الكريم ، لم يكن المقصود العبادات فقط ، بل كل ما يباشره الإنسان من أعمال ، سواء أكانت زراعية أو صناعية أو تجارية .

فالفلاح الذى يتقن عمله فى حقله ، يكون قد أدى عملا صالحا يعود نفعه عليه فى الدنيا وذلك بأن تصلح زراعته فتؤتى ثمارا طيبة ، يصيبه منها ربح مادى كما يخدم بذلك وطنه الإسلامى ، لأنه باجتهاده فى زراعته وإنتاجه محصولا طيبا ، يكون قد أسهم فى حل المشاكل الغذائية فى المجتمع ، وفضلا عن ذلك كله ، فالله ــ سبحانه وتعالى يمنحه ثوابا فى الآخرة على ما قدم لمجتمعه فى الدنيا .

كذلك العامل فى المصنع ، إذا التزم بأمر الله ونفذ ما وصاه به فى كتابه العزيز ، بأن يكون عمله عملا صالحا ، فيجب عليه بمقتضى هذا الالتزام أن يتقن صناعته ، فلا يخرج من تحت يده إلا ما يكون صالحا للغرض الذى من أجله صنع ، فالعامل المسلم الصالح هو الذى يعتنى بما يصنع ، بحيث لا يخرج من تحت يده غلا الصناعة المتقنة فلو فعل هذا ، لكان عمله صالحا ، ينال عليه خيرا فى الدنيا . وذلك بسبب شهرة الإتقان التى تؤدى إلى أن يقبل الناس على شراء منتجاته كما يعود بالخير أيضا على أمته الإسلامية ، لأن شهرة إتقانها فى

الصناعة يجعلها تحتل مركزا مرموقا بين الأمم ، ويحمل الناس على احترامها ، وفى ذلك خير للإسلام ، ودعوة مباشرة إلى غير المسلمين للتفكير فى هذا الدين الذى ربى أتباعه تربية جعلتهم يحرصون على إتقان ما يصنعون ، خوفا من عقاب الله ، وطمعا فى ثوابه .

لعلك أدركت من هذا الشرح أن العمل الصالح الذى ورد ذكره كثيرا فى القرآن الكريم ، ليس مقصورا فقط على الفرائض الدينية ، بل يشمل كل عمل يقوم به الإنسان ، ولذا جاء عطف الصلاة والزكاة عليه فى قوله تعالى : " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم "[١] .

فهذا يشير إلى أن العمل الصالح يشتمل على كل ما يباشره الإنسان فى حياته . وأن الجزاء سيكون أيضا لمن أتقن عمله ، واحسن صناعته ، والعقاب سيلحق المهملين الذين يخدعون الناس ويغشونهم فيما يقدمون لهم من صناعة غير متقنة .

وفق الله كل مسلم إلى إتقان عمله وتحسين بضاعته ، حتى يعم الخير فى الدنيا ، وننال الثواب فى الآخرة . إنه سميع مجيب[٢] .

٣ ــ على العامل أن يراقب الله فى السر والعلن وان يخلص فى عمله وان يخاف الله دائما وان يطمع فى ثوابه وهو أهم أسرار النجاح والفلاح . فعليك أيها العامل المسلم : أن تخلص العبادة لله وحده ،

---

[١] سورة البقرة ، الآية ٢٧٧ .

[٢] انظر الإسلام كما ينبغى د / محمد شامة ١٥٦ ، ١٥٧ . مكتبة وهبة أولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م دار التوفيق النموذجية) .

وأن تدعوه خالصا لوجهه سبحانه وتعالى ، حتى تنال الخير فى الدنيا والثواب فى الآخرة .

وكما أن الإخلاص فى العبادة شرط لصحتها ، وركن أساسى لنيل ثواب الله ، كذلك الإخلاص فى الأعمال الدنيوية مطلوب شرعا فإن الله لا يقبل من الأعمال غلا ما كان خالصا ، فهذه إشارة للمسلم وطلب منه أن يكون فى جميع أعماله مخلصا ، وان يؤدى ما يكلف به على خير وجه وإلا لحقه غضب الله ــ سبحانه وتعالى ــ ولعنته.

فالمطلوب من الصانع فى الصناعة أن يتقن عمله يصنع وأن يخرج من تحت يده ما يشرفه ويشرف المسلمين ليضمن العامل دوام العمل ولتستمر الثقة فيما يخرج من تحت يده آلات مصنوعة وأدوات ومعدة للاستعمال .

وعلى التاجر أن يتقن عمله بأن لا يغش ولا يخدع ولا يحتكر وان يكون صادقا لينال مكاسب الدنيا ومكاسب الآخرة ، قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء "[١] .

٤ ــ أن يطلب المزيد من العلم والخبرة لأن ديننا يوجب علينا طلب العلم فى كل الأعمال والأعمار ، ليتبع العامل أدق وأحدث الوسائل العلمية فى العمل وأحدث الأساليب فى الإنتاج ليؤده إلى زيادة وإتقان الصنعة .

---

[١] قال العراقى فى هامش الإحياء ٢ / ٦١ أخرجه الترمذى والحاكم من حديث أبى سعيد ، وقال الحاكم إنه من مراسلين الحسن ، ولابن ماجة والحاكم نحوه من حديث ابن عمر ، وتحفة الحوذى ٤ / ١٢٢٤ وثال حديث حسن ، وأورده ابن ماجة فى التجارات رقم ١ .

حكم البطالة فى الإسلام[١]

سبق أن أشرت إلى حكم العمل فى الإسلام وانه فرض كفاية وأنه فى مرتبة العبادة .

ومعنى ذلك أن البطالة محرمة فى هذا الدين ، لأن فيها تعطيلا لملكات الفرد ومواهبه وسائر قواه الطبيعية التى خلقها الله ــ سبحانه وتعالى ــ له ليعتملها لكنه بالبطالة يجعل من هذه الملكات والقوى والمواهب كمية مهملة أو مصدر خطر على نفسه وعلى المجتمع ولاسيما لو كان العاطل شابا .

" فالعمر الحقيقى الفعال هو فى سن الشباب ؛ ذلك أن الشباب هو ميدان العمل والتحصيل كما هو ميدان الإنتاج والإعطاء فالقوة وافية والهمة عالية والأمراض والعلل والعوائق ــ لقلة العلائق نائية . وقد كانت التابعية الجليلة حفصة بنت سيرين قول : يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإنى ما رأيت العمل إلا فى الشباب "[٢].

وقد أعلن الإسلام الحرب على البطالة وذمها ونفر منها وحذر وتوعد عليها وأنذر وكيف توجد البطالة وقد سهل الله لنا الأرض

---

[١] البطالة فى اللغة : التعطل عن العمل ، فيقال : بطل الجير يبطل بطالة أى تعطل فهو عاطل ، وتعطل الرجل إذا بقى لا عمل له والاسم العطلة وقد يستعمل العطل فى الخلو من الشئ وكل ما ترك ضياعا معطلا ..... " انظر لسان العرب . مادة (بطل) .

[٢] قيمة الزمن عند العلماء ، الأستاذ / عبد الفتاح أبو غدة ١١٤ (ط٥ ، مكتبة المطبوعات الإسلامية) .

ومهدها للسير عليها وجعلها كالفراش أو البسط كما يسر طرق من الانتفاع منها ؟ فلا عذر يوجب البطالة " جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها "[١] فمن توقف عن السعى مع القدرة عليه فقد خالف سنن الله فى الكون لأنه يعيش عالة على إخوانه وشركائه فى الخلافة ، أما من سعى لالتماس الرزق فإنه يجلس على مائدة الرحمن ليأكل منها " وكلوا من رزقه "[٢] وهذه نتيجة حتمية ، ولكن ينبنى على العامل المجد فى الأعمال الدنيوية أن لا ينسى حقوق الله فى العبادة التى خلق من أجلها . قال ــ تعالى ــ : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين "[٣] .

فقد استشف سيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ أن البطالة تنشأ فى دائرة ضيقة فتعكس على وجود الإنسان كإنسان ثم تتسع هذه الدائرة حتى تشمل الأسرة فتفكك عراها ويفقد العاطل سلطانه عليها ومن ثم تنحدر الأسرة إلى مستويات من الفوضى والقطيعة ، ومن أجل هذا وذاك كله قال عمر ــ رضى الله عنه ــ قولته المأثورة : " لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، بل امشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور "[٤] .

---

[١] سورة الملك ، الآية ١٥ .

[٢] سورة الملك ، الآية ١٥ .

[٣] سورة الذاريات ، الآية ٥٦ ــ ٥٨ .

[٤] العمل فى الإسلام ، د / عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى ، ٤١ ، ٤٢ (دار المعارف) .

" فالعاقل الموفق من يملأ كل لحظة من حاضر عمره ووقته بفائدة أو عمل صالح ، وقد كره سيدنا عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ التعطل والبطالة وإضاعة الزمن سدى ، فقال : " إنى لأكره أن أرى أحدكم سبهللا ــ أى فارغا ــ لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة "[١] .

إن البطالة توقع الإنسان فى المحظور فتصيره ــ فى الغالب متسولا ومتحملا لنتائج التسول الوبيلة المنهى عنه فى شريعة الإسلام

وقد ذم الشرع السؤال والاتكال على كفاية الأغيار وذم السؤال متضمن لفرضية العمل وحرمة البطالة ولذم التسول للقادر الذى يستطيع العمل أو الكد فى الإسلام نصيب وافر من الترهيب والتنكيل والإنكار ، ومن ذلك :

١ ــ قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله ــ تعالى ــ وليس فى وجهه مزعة لحم "[٢] أى قطعة لحم .

٢ ــ بين النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن أى عمل مهما كان نوعه أفضل من المسألة ؛ فقال : " لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه "[٣] .

---

[١] قيمة الزمن للأستاذ / عبد الفتاح أبو غدة ، ١١٨ .

[٢] صحيح البخارى ــ فتح البارى ــ ٢ / ٥٣٦ كتاب الزكاة باب من سأل الناس تكثرا وصحيح مسلم ٢ / ٩٦ كتاب الزكاة باب كراهية المسألة للناس .

[٣] صحيح البخارى ــ فتح البارى ــ ٢ / ٥٢٥ كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة

٣ ــ مدح الله ــ عز وجل ــ من لا يسأل الناس إلحافا ــ أى إلحاحا أو يسأل وهو مستغن عن المسألة ــ وفيه تعريض بالسائلين المتسولين استكثارا .

٤ ــ وقد بين الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن المسألة لا تكون إلا فى أضيق الأحوال ؛ فقد جاءه قبيصة بن المخارق ، قال : تحملت حمالة ، فأتيت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أسأله فيها ، فقال : " أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر بها . " ، ثم قال : " يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال : سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال : سدادا من عيش ، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا "[1] .

وقال ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ : " إنى أكره أن أرى الرجل فارغاً لا فى أمر دنياه ولا فى أمر آخرته "[2] .

---

(١) تحمل حماله : هى المال الذى يتحمله الإنسان أى يستدنيه ويدفعه فى إصلاح ذات البين كالإصلاح بين قبيلتين ... " انظر شرح النووى على مسلم ٣ / ٨٢ . الحديث فى صحيح الإمام مسلم ٣ / ٩٧ و ٩٨ كتاب الزكاة باب من تحل له المسألة .

(٢) إحياء علوم الدين ٢ / ٦٢

وقيل لأحمد بن حنبل : ما تقول فيمن جلس فى بيته أو مسجده وقال : لا أعمل شيئاً حتى يأتينى رزقى ؟ ، فقال أحمد : هذا رجل جهل العم ، أما سمع قول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إن الله جعل رزقى تحت ظل رمحى "[١] ، وقوله ــ عليه السلام ــ حين ذكر الطير فقال : " تغدوا خماصاً وتروح بطاناً " .[٢] فذكر أنها تغدوا فى طلب الرزق وكان أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم والقدوة بهم .

وقال أبو قلابة لرجل : لأن أراك تطلب معاشك أحب إلى من أن أراك فى زاوية المسجد .

وروى أن الأوزاعى لقى إبراهيم بن أدهم ــ رحمهم الله وعلى عنقه حزمة حطب ، فقال له " يا أبا إسحاق إلى متى هذا ؟ إخوانك يكفونك ؟ " فقال : " دعنى عن هذا يا أبا عمرو ، فإنه بلغنى أنه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة " .

وقال أبو سليمان الدارانى : " ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ؟ ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد "[٣] .

---

[١] قال العراقى : رواه أحمد من حديث ابن عمر وإسناده صحيح ، هامش الإحياء ٢ / ٦٣ ، وفى صحيح البخارى بلفظ جعل رزقى تحت ظل رمحى وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمرى " . الفتح ٦/ ٩٨ كتاب الجهاد باب ما قيل فى الرماح .

[٢] الإحياء ٢ / ٦٣ .

[٣] المصدر السابق ٢ / ٦٣ .

وفى الختام نقول :

لا مجال لمن يزعم أن الدين يدعو إلـــى القعـود والتواكـل ، أو يدعو إلى الركون وإلى المسكنة والفقر .

بل إن الدين يحث كل فرد مسلم على أن يسعى ويعمـــل ويكـد ويتعب ملتمساً الرزق فى خباياً الأرض ، وتحت أديم السماء كيفما كان العمل زراعة أو صناعة أو تجارة أو احترافاً بأى حرفة مـن الحـرف النافعة سواء كان العمل لنفسه أو لغيره .

وعلى كل أبناء الأمة أن يعملوا متضامنين على سد كل ثغـرة فى بنيان مجتمعهم وأن يبحثوا عن الأعمال والمشروعات التى تفتقـر إليها الأمة فى كل مجال ليجمعوا بين الدين والدنيا ، وما أجملـهما إذا اجتمعا .

أسأل الله أن يهبنا الغنى والسعادة والعزة وهو نعم المولى ونعم النصير .

أ.د / محمد عبد الحافظ إبراهيم عون
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
وكيل كلية أصول الدين بأسيوط

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث	١٧٩
معنى العمل والكسب لغة واصطلاحاً	١٨٢
أثر الكسب الحرام على الفرد والجماعة	١٨٨
دعوة الإسلام إلى العمل	١٨٩
العمل والتوكل على الله	٢٠١
رأى مخالف لما عليه فقهاء الأمة وعلماؤها	٢٠١
حث الإسلام على الاشتغال بالمهن المختلفة	٢٠٦
حقوق العامل وواجباته فى الإسلام	٢٢١
واجبات العامل	٢٢٤
حكم البطالة فى الإسلام	٢٢٨
الخاتمة	٢٣٣